سلسلة مشاهير علماء المسلمين

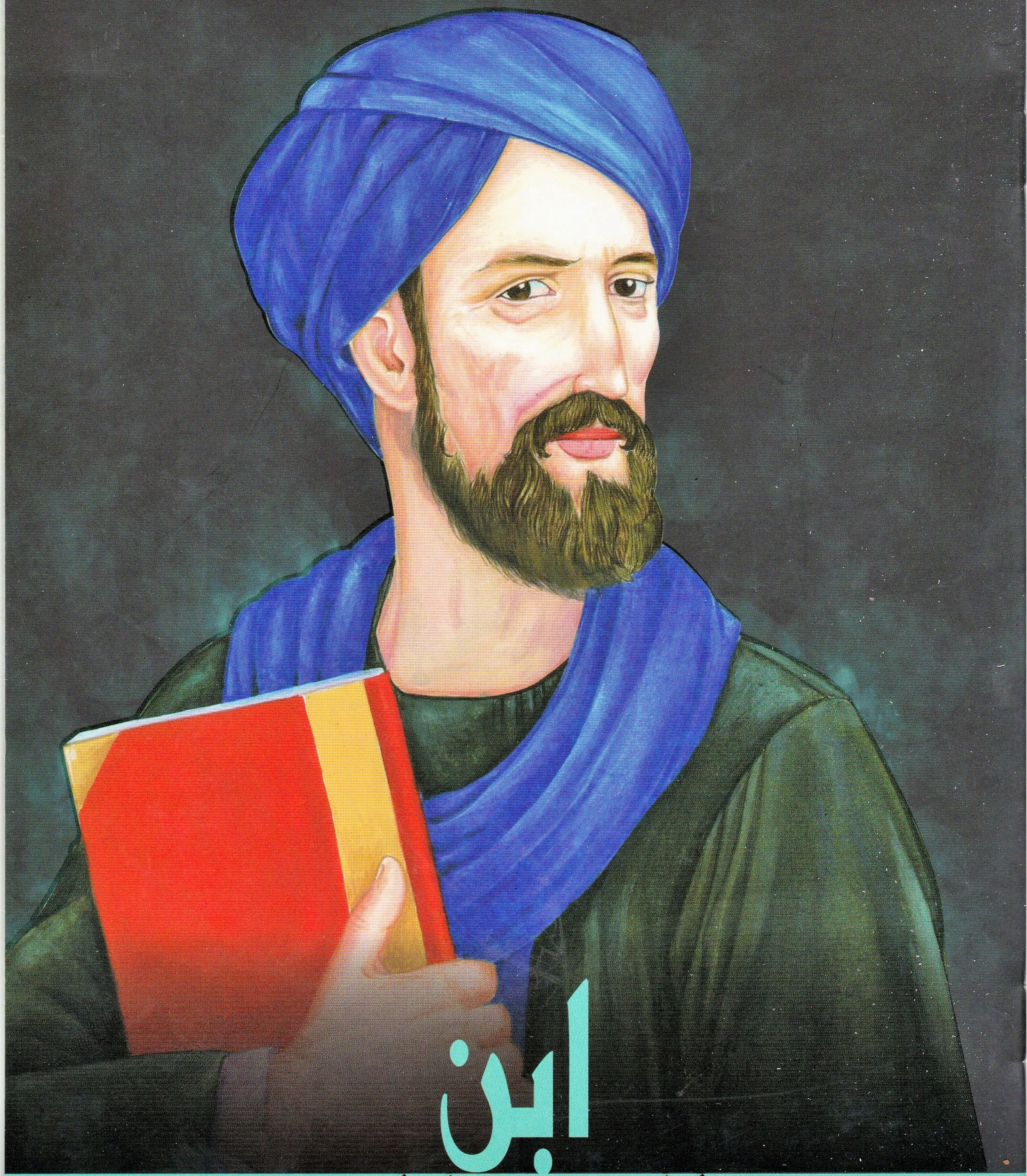

ابن البيطار

ابن البَيْطَار

أعظم علماء النبات

شركة
دار الشرق العربي

بسم الله الرحمن الرحيم

محفوظة جميع الحقوق

يمنع طبع هذا الكتاب أو جزء منه بكل طرائق الطبع والتصوير والنقل والترجمة والتسجيل المرئي والمسموع والحاسوبي وغيرها من الحقوق إلا بإذن خطي من الناشر

شركة
دار الشرق العربي
للطباعة والنشر والتوزيع

الرقم الدولي : ISBN 9953 - 61 - 435 - 0
الموضوع : سلسلة مشاهير علماء المسلمين
العنوان : ابن البَيْطَار
اعداد : محمد علي عفش
الصفحات : 24
الطبعة الأولى: 2014

MB MACAW BOOKS

لبنان ـ بيروت ـ ص . ب : 11/6918 الرمز البريدي 11072230 تلفاكس : 01 701668
سورية ـ حلب ـ ص . ب : 415 هاتف : 2115773 / 2116441 / فاكس : 2125966

www. afach.aleppodir. com email: afashco1@ scs-net. org

في هذه سلسلة

تعد النهضة الأوربية من أهم عصور التاريخ حين غرزت روح الاستطلاع والإنسانية بذور الفكر الحديث.

ولكن ما لم يستكشف بعد هو الفترة السابقة لهذه النهضة.

تبحث هذه السلسلة من الكتب في حضارة موازية لا تقل دهشة وإثارة عن الحركة الثقافية في أوربا القرن الخامس عشر.

عرفت هذه المرحلة بالنهضة الإسلامية.

وقد ولدت عقولا معطاءة أسست أفكارها لعدد من الاكتشافات في عالم العلوم الحديثة.

المحتويات

1. مَولِدُهُ وحياتُهُ المُبكِّرة 5
2. بداية حياة جديدة 7
3. تحت الحكمِ الأيوبيّ في مصر 9
4. العالِم المترحِّل 11
5. روح الاستكشافِ: ﷺ النهضة الإسلامية 13
6. العالم المهاجر 15
7. حول السَّرطان والهندباء 17
8. الكتاب الجامع في الأدوية المفردة 19
9. أعماله المهة الأخرى 21
10. أيامُهُ الأخيرةُ 23

شَرحُ المُفرداتِ 24

1 مولدُهُ وحياتُهُ المُبكِّرة

كانَ ابنُ البَيْطَارِ من أعظمِ العلماءِ في العصرِ الذهبيِّ للإسلامِ؛ فقد كانَ رائداً في عِلمِ النَّباتِ والأعشابِ في زَمنِهِ، وكانَ لهُ فَضلٌ كبيرٌ في حَقلي الطِّبِّ والصَّيدَلةِ.

وُلِدَ أبو محمَّدٍ عبدُ اللهِ بنُ أحمدَ ابنُ البَيْطَارِ ضياءُ الدِّينِ المالقيُّ في مدينةِ مالقةَ الأندلسيةِ سنةَ 593هـ/1197م، وكانَ ينتمي إلى عائلةٍ مالقيّةٍ تُشتهَرُ بمهنةِ البَيطَرةِ؛ لذا فقد تفتَّحَ ذِهنُهُ على التَّعامُلِ علمياً مع الحياةِ منذُ طفولتِهِ.

ومعَ نموِّ اهتماماتِهِ في النَّباتاتِ والحياةِ الطبيعيةِ قرَّرَ أَنْ يُتابعَ دراساتِهِ في علمِ النَّباتِ.

وكانَ يُطلَقُ على علماءِ النَّباتِ في تلكَ الأيامِ: "العشّابون"؛ لأنَّ دراستَهم كانَتْ تتناولُ الأعشابَ الطِّبيةَ.

وقد تَتلمَذَ على يدِ عالمِ النَّباتِ الشَّهيرِ أبي العباسِ أحمدَ في إشبيليةَ.

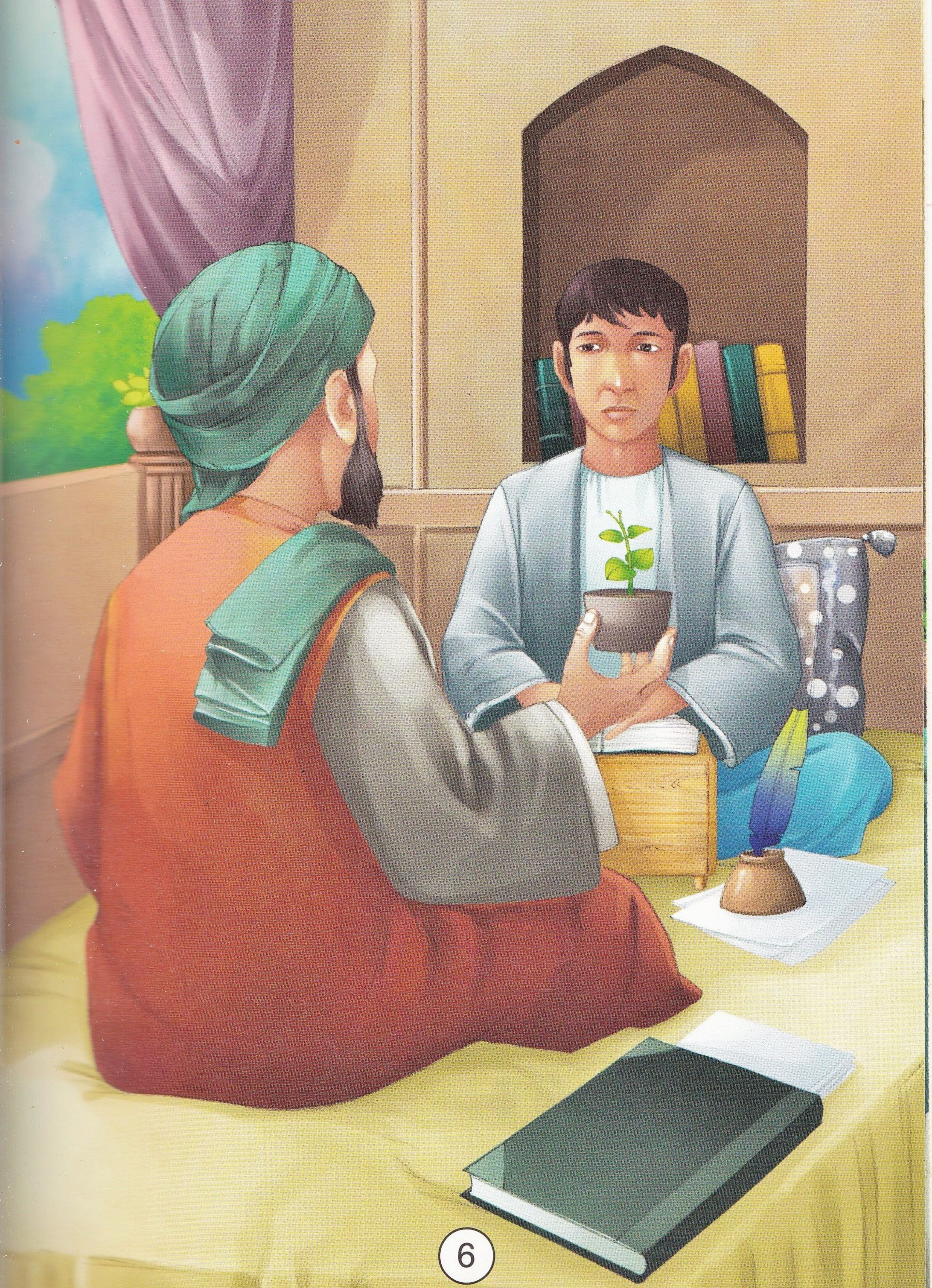

2

بدايةُ حياةٍ جديدةٍ

قرأَ ابنُ البَيْطَارِ بنهمٍ تَحتَ إشرافِ مُعلِّمِهِ، وكانَ مُتلهِّفاً للعلمِ، ولم يألُ جَهْداً في الاطِّلاعِ على كلِّ ما توصَّلتْ إليهِ يداهُ من معرفةٍ. وكانَ يقترضُ نماذجَ النَّباتاتِ المُختلِفةِ من مُعلِّمِهِ، ويدرسُها بتأنٍّ وصبرٍ.

كما بدأَ يجمعُ النَّباتاتِ من أنحاءِ الأندلسِ.

كانَتِ الأوضاعُ الاجتماعيةُ والسِّياسيةُ في الأندلسِ في تلكَ المرحلةِ غيرَ مُستقرَّةٍ بسببِ الحملةِ المسيحيةِ الإسبانيةِ الشَّرسةِ الطامحةِ إلى استردادِ الأندلس من أيدي العربِ المسلمينَ، وطَردِهم من شبهِ الجزيرةِ الإيبيريةِ.

وقد شَهِدَ ابنُ البَيطَارِ هذه الظروفَ المُتقَلْقِلةَ في سنيِّ دراستِهِ، وقرَّرَ أن يُغادِرَ الوطنَ؛ فتركَ الأندلسَ سنةَ 616هـ/1219م في رحلةٍ كانَ هدفُها دراسةُ النَّباتاتِ واستكشافُ أنواعِها المختلفة.

وقد كانَتْ تلك الرحلةُ بدايةَ حياةٍ جديدةٍ بالنسبةِ لهُ؛ فوصَلَ إلى المغربِ سنة 1220م، ثمَّ ارتحلَ منها إلى الجزائرِ وتونسَ وطرابلسَ ومصرَ.

3

الانتقال إلى بغداد

بدأَتْ شُهرةُ ابنِ البَيطَارِ كعالمِ أعشابٍ تنمو في مصرَ؛ فعيَّنه حاكمُها الملكُ الكاملُ محمدُ بنُ أبي بكرٍ "رئيسَ العشَّابينَ" في الدِّيارِ المصريةِ، وازدادتْ حظوتهُ في عهدِ ابنهِ الملكِ الصالحِ نجمِ الدِّينِ أيوبَ.

وهكذا بدأَ ابنُ البيطارِ حياتَهُ المهنيَّةَ، مُترافقةً معَ بحوثِهِ التجريبيةِ.

كانَ السلامُ يعمُّ أرجاءَ الدولةِ الأيوبيةِ، ممَّا وفَّرَ بيئةً خَصْبةً للتَّحصيلِ العلميِّ، وكانَ العلماءُ يتمتَّعونَ بحريةٍ في إجراءِ اختباراتِهم وَفْقاً لملاحظاتِهم الشَّخصيةِ وآرائِهم.

وقد نجحَ ابنُ البَيطَار في هذا المجالِ بمساعدةِ وتشجيعِ زُملائِهِ من العلماءِ.

وكانَ يرجعُ إلى أعمالِ سابقِيهِ؛ كالغافقيِّ والزَّهراويِّ والإدريسيِّ؛ ومَهَرَ في قراءةِ الكتُبِ اليونانيةِ القديمةِ المترجمةِ ككُتُبِ ديوسقوريدس وجالينوس، واستفادَ منها وأفادَ.

4

العالِمِ المترحِّل

في سنة 682هـ/1229م وسَّعَ الملكُ الكاملُ مملكتَهُ فضمَّ دمشقَ وأكثرَ الشَّامِ، ورافَقَ ابنُ البيطارِ الملكَ الكاملَ في حملتِهِ، وسنحَتْ لهُ الفرصةُ لأنْ يجمعَ ويدرسَ نباتاتِ سوريةَ وفلسطينَ وأجزاءً من العراقِ، وقد قامَ برحلاتٍ علميةٍ دوريةٍ في الجزيرةِ العربيةِ واليونانِ وأرمينيا وآسيا الصغرى (تركيا).

وكانَ أينما حلَّ يتواصلُ مع السكانِ المحليينَ وأصحابِ العلم في تلكَ الأماكنِ. وتمكَّنَ عبرَ هذهِ اللقاءاتِ مِنْ أَنْ يتعلَّمَ الطِّبَّ الشعبيَّ والإجراءاتِ السائدةَ لعلاجِ مُختلفِ الأمراضِ، ودوَّنَ ملاحظاتِهِ حولَ كلِّ هذهِ الاكتشافاتِ وضمَّنها لاحقاً في الكُتبِ التي ألَّفَها في مجالِ الطِّبِّ والصيدلةِ.

وكانَ يرافقُهُ دائماً رسَّامٌ يرسمُ لهُ النباتاتِ التي يكتشفُها.

وكانَ يعتمدُ على الملاحظة، ولا يدوِّنُ شيئاً إلاَّ بعدَ أن يكونَ قد أعطاهُ نصيبَهُ من الدَّرسِ والبَحثِ. لقد كانَ ابنُ البيطارِ يتمتَّعُ بذاكرةٍ مُذهِلةٍ وذكاءٍ علميٍّ وفطنةٍ نالتْ إعجابَ تلامذتِهِ، وعلى رأسهم تلميذُهُ ابنُ أبي أُصيبعةَ.

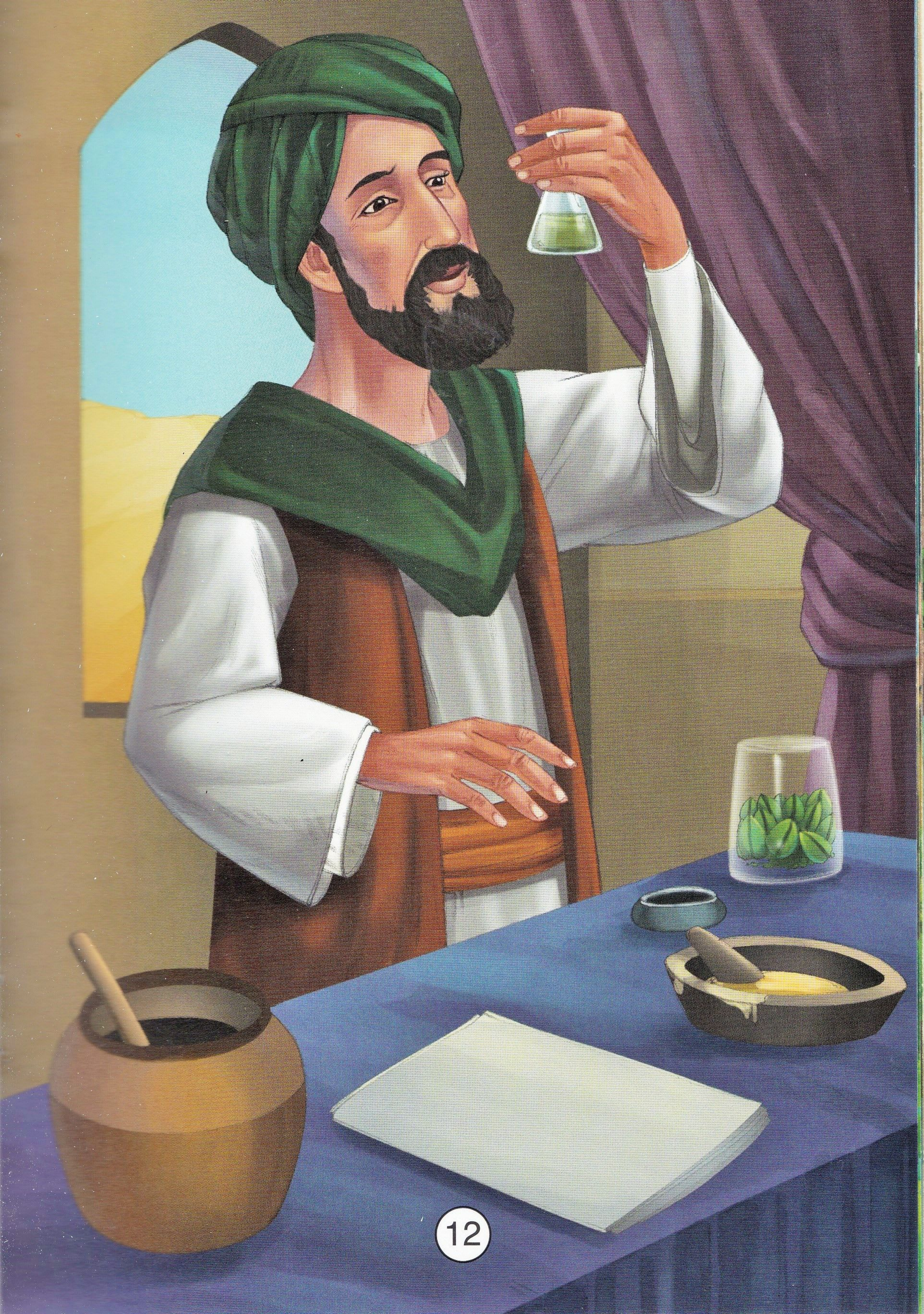

5 روح الاستكشاف: ﷺ النَّهضة الإسلامية

لم تكُنِ البيئةُ العلميةُ في العصرِ الإسلاميِّ الوسيطِ بيئةً منعزلةً ومقيَّدةً، فقد كانَ التعلُّمُ وسيلةً لخدمةِ المجتمعِ كلِّهِ.

وبحسبِ الفلسفةِ الإسلاميةِ فإنَّ اللهَ عزَّ وجلَّ قد أوجدَ لكلِّ داءٍ دواءً، وكانَ الواجبُ المقدَّسُ للطبيبِ هو أن يعالجَ مرضاهُ.

استقرَّ ابنُ البيطارِ في دمشقَ، وقد رعتِ البيئةُ المُتحرِّرةُ لبلادِ الشامِ رُوحَ البحثِ العلميِّ ممَّا مكَّنَ العلماءَ من الاطِّلاعِ على علومِ مَنْ سبقَهمْ والإضافةِ إليها وتحسينِها باستكشافِ أشياءٍ جديدةٍ.

كانَتِ الرعايةُ الصحيةُ تعتمدُ على مبدأ الوقايةِ أولاً، وكانَتْ أُولى خطواتِها الحِميةُ الصِّحيةُ والمعتدلةُ.

وكانَ الأطباءُ الممارسونَ يتمتَّعونَ بالحريةِ لتطبيقِ ما يشاؤونَ من علاجٍ. وكانَ للخبرةِ دورٌ مهمٌ بالنسبةِ لعلماءِ الطِّبِّ والصَّيدَلةِ وممارسيها؛ وقد ساعَدَ كلّ ذلك على تطويرِ ابنِ البيطارِ لمهنتِهِ كمعالجٍ بالأعشابِ والنجاحِ فيها.

6

الطَّبيب المهاجر

شجَّعَ الحكَّام الأيوبيّون على إنشاءِ العديدِ من المؤسَّساتِ ذاتِ الأهميةِ التعليميةِ؛ فازدهرتْ دمشقُ بالمكتباتِ والمُختبراتِ والمعاهدِ العلميةِ والمستشفياتِ.

وكانَ بناءُ المشافي من أهمِّ إنجازاتِ العصرِ الذَّهبيِّ للإسلامِ؛ فهي كانَتْ تُوفِّرُ العلاجَ والرعايةَ للفقراءِ والمحتاجينَ.

وأصبحتْ هذهِ المستشفياتُ من أهمِّ الأماكنِ التي يلتقي بها المُعلِّمونَ بطلاَّبِهم، حيثُ لا يقتصرُ عملُهم على دراسةِ المرضى، بل يُوفِّرونَ لهم الرعايةَ أيضاً.

وقد أجرى ابنُ البَيطَارِ دراساتٍ عن نُزلاءِ المستشفياتِ وأمراضِهم، بحيثُ تعرَّفَ بشكلٍ مباشرٍ على هذهِ الأمراضِ وأسبابِها المُحتمِلةِ.

ومع اعتمادِهِ على نظريةِ الخِلطاتِ التي وَضَعها اليونانيونَ القدماءُ، إلاَّ أنَّهُ قامَ بملاحظاتٍ شخصيةٍ، وتوصَّلَ منها إلى استدلالاتٍ جديدةٍ. واكتشفَ الخواصَّ المضادةَ للسَّرطانِ في عُشبةِ الهِندِباءِ، وهي عشبةٌ معروفةٌ في العالمِ العربيِّ.

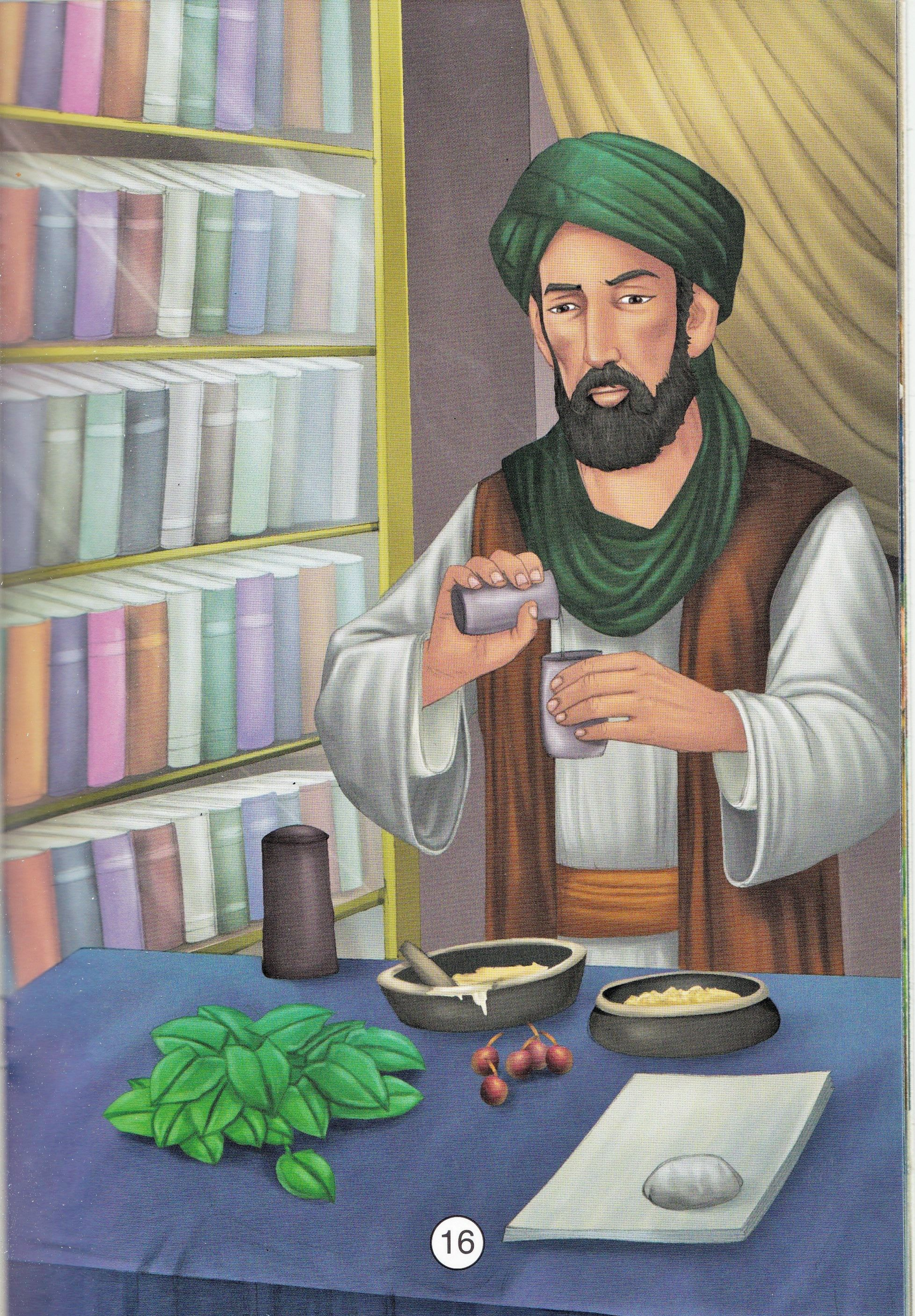

7

حول السَّرطان والهندباء

شكَّل هذا الاكتشافُ قفزةً كبيرةً في عالمِ الصَّيدَلة. فقد صنعَ ابنُ البيطارِ مُركَّباً من العشبةِ لعلاجِ الأورامِ.

وكانَ الاعتقادُ السَّائِدُ في ذلكَ الحينِ أنَّها تنشأُ عن إفرازاتِ السَّوداءِ، ولكنَّهُ خمَّنَ أنَّ الهندباءَ قادرةٌ على علاجِها. وفي سنة 1997م أصدرَ مكتبُ البراءاتِ الأوربيِّ شهادةً يعتبرُ فيها الهِندِباء وسيلةَ علاجٍ للاضطراباتِ الورميّةِ.

كانَ العديدُ من الأطباءِ العربِ قبلَ ابنِ البَيطَار قد حاولُوا علاجَ السَّرطانِ، وجرَّبُوا مختلفَ الأعشابِ لإيجادِ العلاجِ الملائِمِ، وكانُوا يعتبرونَ أنَّهُ إضافةً إلى الدواءِ يجبُ على المريضِ اتِّباعُ حميةٍ جيدةٍ كخطوةٍ أولى للتحكُّم بانتشارِ أيِّ مرضٍ.

قالَ ابنُ سينا، وهو طبيبٌ غزيرُ العلمِ، اكتشفَ أنَّ السرطانَ ينتشرُ في أنحاءِ الجسم.

والرازيُّ اكتشفَ أنواعاً من السرطانِ تنتشرُ في أنحاءٍ مختلفةٍ من الجسمِ كالعينينِ والأنفِ واللسانِ والمعدةِ والكبدِ.

ثم اكتشفَ الزَّهراويّ الفرقَ بينَ التهاباتِ الكِلَى وسرطانِ الكِلَى.

ويتوضَّحُ كلُّ ذلك تقدُّمَ الطبِّ عندَ المسلمينَ في القرونِ الوسطى.

8 الكتاب الكامل في الدواء والغذاء

كَتَبَ ابنُ البَيطَار رسالتَينِ مهمتَينِ في الطِّبِّ والنباتاتِ الطبيةِ، بالإضافةإلى عدَّةِ كُتبٍ عن علمِ النباتِ.

ويعدُّ كتابُهُ "الجامع في الأدويةِ المُفرَدةِ" موسوعةً عن النَّباتاتِ الطِّبية، وهو يضمُّ ما لا يقلّ عن 1400 اسمٍ من أسماءِ النَّباتاتِ والخضارِ ذاتِ القِيمةِ أو الفائدةِ الطِّبيةِ. ويُقال أنَّهُ اكتشفَ ما بينَ مئتين إلى ثلاثمئة منها بنفسِهِ.

وقد تجاوزَتْ أهميةُ الكتابِ العالمَ الإسلاميَّ، وأصبحَ مرجعاً رئيساً للدِّراسةِ في الشرق الأدنى والعالم الغربي.

وقد أشارَ الطِّبيبُ البندقيُّ أندريا ألباغو إلى كتابِ"الجامعِ" في بعض أعمالِهِ المترجمةِ.

ودُرِّسَتْ موضوعات الكتابِ كنصوصٍ رئيسةٍ في الطِّبِّ حتى القرنِ الخامسَ عشرَ، وبَقِيَ الكتابُ مَرجِعاً أساسياً عدّةَ قرونٍ في أوربا.

وما تزالُ أهمِّيتُهُ بارزةً اليومَ نظراً لِمَا يحويهِ من كمٍّ من المعلوماتِ والتَّفاصيلِ.

20

9

أعمالُهُ المهمّةُ الأُخرى

يُعالج كتاب ابن البيطار "المُغني في الأدويةِ المُفرَدةِ" الأدويةَ والعلاجاتِ. ويُذكَرُ في الكتابِ كلُّ نبتةٍ علاجيّةٍ مع أسمائِها اليونانيةِ واللاتينيةِ والإسبانيةِ والبربريةِ والعربيةِ؛ ممَّا يسهِّلُ نقلَ المعرفةِ من لغةٍ إلى أُخرى.

ويعدُّ "تفسير كتاب ديوسقوريديس" تعليقاً على أعمالِ العالمِ اليونانيِّ القديمِ ديوسقوريديس التي قرأَها ابنُ البيطارِ بإسهابٍ، وقد اكتُشفتْ إحدى مُخطوطاتِ هذا الكتابِ مُؤخَّراً.

ومن أعمالِهِ الأخرى: "ميزان الطَّبيبِ"، و"رسالةٌ في الأغذيةِ والأدويةِ"، و"مقالةٌ في الليمونِ". كما تَرجَمَ: "شَرح أسماءِ العقارِ"؛ وهي مقالةٌ فلسفيةٌ كتبَها الفلكيَّ اليهوديُّ ميمونُ من القرون الوسطى.

واكتشفَ ابنُ البيطارِ أنَّ رائحةَ الليمونِ تُنقِّي الهواءَ الملوَّثَ، لذا فقد استُخدمَتْ في المستشفياتِ. واقترحَ استخدامَ الكافورِ في علاجِ التَّشنُّجاتِ والشَّللِ.

لقد كرَّسَ ابنُ البَيطَارِ حياتَهُ كلَّها للعلمِ، ودوَّنَ اكتشافاتِهِ في هذهِ الكتبِ.

10

أيامه الأخيرة

كانَ ابنُ البَيطَارِ مُعلِّماً متحمِّساً حتَّى النهايةِ، وقد شجَّعَ طلاَّبَهُ على الاستكشافِ.

وبعدَ أَنْ استقرَّ ابنُ البيطارِ في دمشقَ قضى السَّوادَ الأعظمَ من حياتِهِ فيها، وقلَّتْ أسفارُهُ بعدَها، حتى توفِّيَ فيها سنة 646هـ/ 1248م، وكانَ عمره حينها 51 عاماً.

أُطلِقَ عليه اسمُ: "أعظم علماءِ النَّباتِ في الإسلامِ والقرونِ الوسطى".

وقد ساهَمَ مع علماءِ زمانِهِ في وَضعِ حجرِ الأساسِ للعلومِ الحديثةِ أثناءَ النَّهضةِ الأوربيةِ.

وساعَدَ ازدهارُ الدَّولةِ الإسلاميةِ في إزالةِ الجهلِ والمعتقداتِ اللا عقلانيةِ التي كانَتْ سائدةً في مجتمعِ القرونِ الوسطى.

ولم تكنِ البحوثُ والمُساهماتُ العلميةُ في الغربِ لِتكتملَ دونَ العودةِ إلى جذورِها في الحضارةِ الإسلاميةِ السَّابقةِ للنَّهضةِ الأوربيةِ.

شَرْحُ المُفردات

الاستِدلال: نتيجةٌ منطقيةٌ.

بُندقيّ: من البُندقيةِ أو فينيسيا؛ وهي مدينةٌ إيطاليةٌ كانَتْ تتمتَّعُ بحكمٍ ذاتيٍّ، وشكَّلتْ دولةً مستقلةً وقويةً في العصورِ الوسطى.

تشنُّج: حركةٌ لا إراديةٌ ومفاجئةٌ في العضلاتِ.

الجرَّاح : طبيبٌ يُجري العملياتِ الجراحيةَ على الحيواناتِ.

السَّرطان: مرضٌ فتّاكٌ يَظهرُ على شكلِ أورامٍ في أنسجةِ الجسمِ، سرعانَ ما تنتشرُ ويهدِّدُ حياةَ المريضِ.

الصَّيدَلة: فَرعٌ من العلمِ، يُعنَى بدراسةِ الأدويةِ وآثارِها.

العَشَّاب: شَخصٌ يدرسُ الأعشابَ وكيفيةَ استخلاصِ الأدويةِ منها.

عَصرُ النَّهضةِ: فترةٌ في التاريخِ الأوربيِّ بعد العصورِ الوسطى، شَهِدَتْ عودةً وازدهاراً للفنونِ والعلومِ والثَّقافاتِ.

الكافور: شجرٌ تُستخدَمُ أوراقُهُ ولِحاؤهُ في علاجِ بعضِ الأمراضِ.

مَقالة: عملٌ كتابيٌّ أصغرُ من الكتابِ، يُعالِجُ موضوعاً مُحدَّداً.

نظرية الخِلطات: نظريةٌ طِبِّيةٌ من العصورِ الوسطى تعزُو أسبابَ الأمراضِ إلى اضطراباتٍ في أربعة من سَوائِلِ الجِسمِ.

سوائلِ الجسمِ، هي: الدّمُ، والبَلغَمُ، والصَّفراءُ، والسَّوداءُ.

يعمُّ: يسودُ، ينتشرُ.

سلسلة مشاهير علماء المسلمين

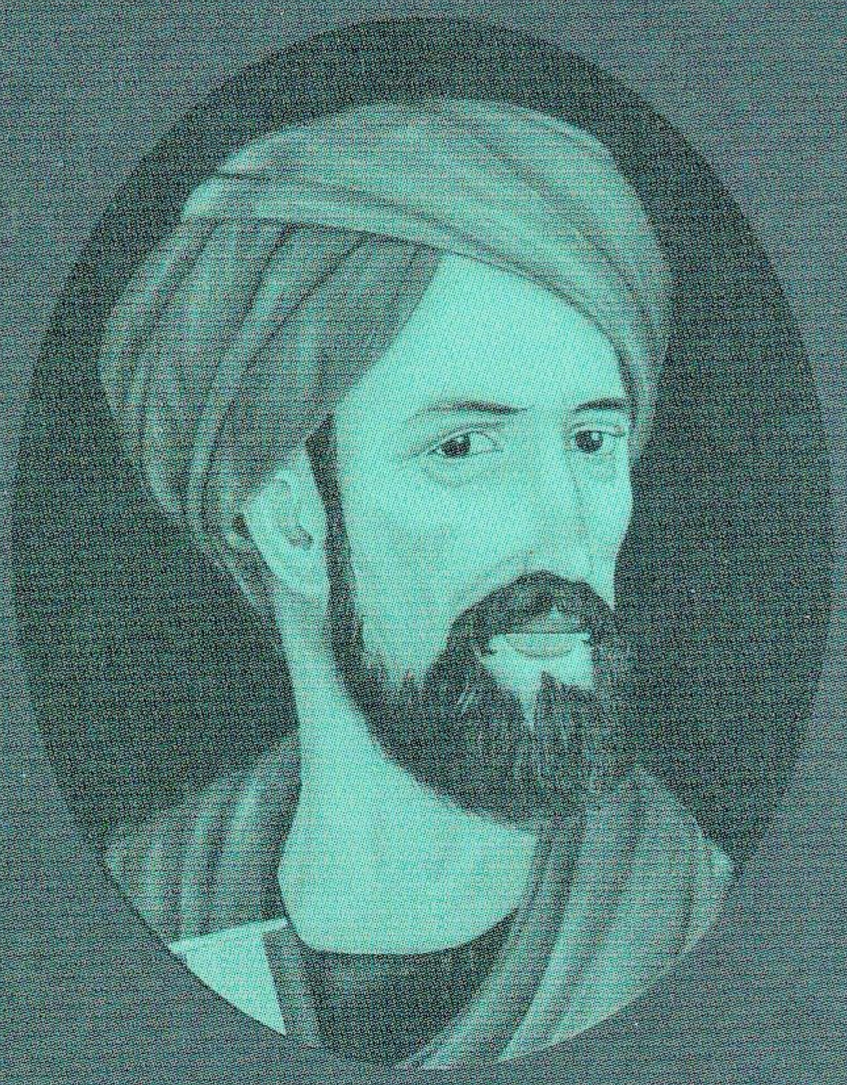

ابن البيطار

تعد النهضة الأوربية من أهم عصور التاريخ حين غرزت روح الاستطلاع والإنسانية بذور الفكر الحديث. ولكن ما لم يستكشف بعد هو الفترة السابقة لهذه النهضة.

تبحث هذه السلسلة من الكتب في حضارة موازية لا تقل دهشة وإثارة عن الحركة الثقافية في أوربا القرن الخامس عشر. عرفت هذه المرحلة بالنهضة الإسلامية. وقد ولدت عقولا معطاءة أسست أفكارها لعدد من الاكتشافات في عالم العلوم الحديثة.

تم تصنيف هذه القصة وفق معايير تصنيف كتب أدب الأطفال بناءً على مشروع «عربي 21»، وقد صنفت لمستوى «ص» الصف السابع المتوسط – متقن أدنى

ISBN 995361435-0

9789953614359

شركة دار الشرق العربي

بيروت – لبنان

تلفاكس: 00961 1 701668

ص.ب.: 11/6918 – الرمز البريدي 11072230

سوريا – حلب

هاتف: 2115773 – 2116441

فاكس 00963 21 2125966 ص.ب.: 415

E-mail: afach1@scs-net.org

info@afashedu.com